
Bibliotheca Alexandrina
0018597



﴿ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ﴾

المترجم



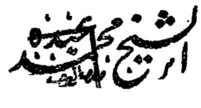
﴿ السيد جمال الدين الافغاني ﴾

المؤلف



نقلها من الفارسية الى العربية





مذيلة

برسالة للسيد الافغاني في القضاء والقدر

طبع على نفقة علي محمد ابو طالب كتبي بمصر

مطبعة محمد محمد مطر بمصر

﴿ السيد جمال الدين الافغانى ﴾

ترجمته

هو السيد محمد جمال الدين الأفغانى ابن السيد صفتر من بيت عظيم فى بلاد الأفغان . وآل البيت عشيرة وافرة العدد تقيم فى خطة « كنر من أعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ولهذه العشيرة منزلة علية فى قلوب الأفغانيين وكانت لها سيادة على جزء من الأراضى الأفغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الأمارة من أيديها دوست محمد خان جد الأمير الحالى وأمر بنقل أبى السيد جمال الدين وبعض أعمامه الي مدينة كابل

ولد السيد جمال الدين فى قريه (أسعد آباد) من قري كنر سنة ١٢٥٤ هجريه وانتقل بانتقال أبيه الي مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعلم وعنى والده بتربيته . وتلقى علوما جمة برع فى جميعها فنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزليه وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وآلهية ومنها

علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . أخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الأمم التي مر بها في سياحته واكتنه أخلاقهم وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان ثم لأمور سياسية يطول سردها اضطر ان يفارق بلاد الأفغان فاستأذن للحج فأذن له فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٦٥ فلما وصل الي التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام فيها نحو اربعين يوما تردد فيها على الجامع الأزهر وخالطه كثير من طلبة

السوريين وغيرهم ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه فى بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة وصل الاستانة وبعد ايام من وصوله امكنته ملاقات الصدر الأعظم عالى باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وبعد ستة اشهر سمى عضوا فى مجلس المعارف فادى حق الاستقامة فى ادائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقائه . ثم لأمور سياسية أو دينية حسن الصدارة ليه الجلاء عن الاستانة ان شاء الله ففارق الاستانة وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها فى اول المحرم سنة ١٢٨٨

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشى فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصرى كل شهر اكرمته به لا فى مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية فى فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الأسلامى وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم

يذهب الي الأزهر مدرساً ولا يوماً واحداً نعم كان يذهب اليه زائرا واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . ثم وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول وحمل تلامذته علي العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبيه والحكمية والدينية فاشتغلوا علي نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه

ثم لم يزل شأنه فى ارتفاع والقلوب عليه فى اجتماع الى ان تولي خديوية مصر المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الا ان بعض المفسدين سعى فيه لدى الجناب الخديوى ونقل المقسد عنه والله يعلم انه برىء منه حتى غير قلب الخديوى عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر اباد الدكن

ولما كانت الفتنة العرابية بمصر دعى من حيدر آباد الى كلكته والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضي امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم أبيح له بالذهاب الى اى بلد فاختار الذهاب الي اوربا واول مدينة اصعد اليها مدينة لندره اقام بها اياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات ثم كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشيء جريدة تدعو المسلمين الى الواحدة تحت لواء الخلافة

الاسلامية ايدها الله

فانشأ الجريدة ونشر منها ثمانية عشر عدداً وقد أخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه ثم قامت الموانع دون الاستمرار فى اصدارها حيث قفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية فى إعنات من تصل إليهم فيه ثم بقى بعد ذلك مقيما بأوربا أشهراً فى باريز وأخرى فى لوندره الى أوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنفى وهو وان لم يكن فى عقيدته مقلد لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميله الى مذهب السادة الصوفية رضى الله عنه

أما مقصده السياسى الذي قد وجه اليه أفكاره وأخذ على نفسه السعى اليه مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه والدين الحنيفي مجده

وبالجملة فانى لو قلت ان ما أتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل

ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

أما اخلاقه فسلامة القلب سائدة فى صفاته وله حلم عظيم يسع ماشاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم الى غضب وهو كريم يبذل مابيده قوى الاعتماد على الله لا يبالى ماتاتى به صروف الدهر عظيم الأمانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسى الذى قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ماكان التعجل علة الحرمان

أما خلقه فهو ربعة في طوله وسط فى بنيته قمحى فى لونه عصبي دموى فى مزاجه عظيم الرأس فِي اعتدال عريض الجبهة فى تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء

وقد يتوسع فى اتيان بعض المباحات كالجلوس فى المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسه فى تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيداً من اللغو منزها عن اللهو

﴿ الشيخ محمد عبده ﴾

ترجمته

ولد الفقيد الكريم من ابوين فقيرين من اهالى محلة « نصر » بالغربية كان يضرب بها المثل في الورع والشهامة واكرام الضيف

ولد رحمه الله عام ١٨٤٥ فلما بلغ السابعة من عمره ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء فلم يشاء ابوه له ان يكون فلاحاً كأخوته بل شاء ان يعلمه فادخله الى كتاب في القريه فاختلف اليه الفقيد مكرهاً ولم يدع احداً من اهل القرية الا توسل به الى ابيه ان ينظمه فى سلك اخوته فلاحا فكان يأبى عليه ذلك ويصر على تعليمه اصراراً . وكانت النتيجة من هذا وذاك ان الفقيد رحمة الله لبث بهذا الكتاب ثلاث سنين لا يحفظ مما يلقى الفقيه حرفا

وفى عام ١٨٤٨ ادخله ابوه الى الجامع الاحمدى فلبث به ثلاث سنين اخرى كانت النتيجة منها مثل الاول . فلما اعي اباه امره ارسله الى الجامع الازهر فمكث فيه عامين ولا يدرى مما يلقن شيئاً

قال الاستاذ فى تعليل ذلك ان الذى كان يعوقنى عن تفهم المقصود من هذه الشروح والمتون ثلاثة امور . الاول رغبتى فى

ان اكون مثل اخوتي فلاحا وعدم وجود الوسائل التي ترغبني في العلم. والثاني اخلال نظام التدريس بحيث كنت اسمع الشيخ وهو يدرس فاحسبه يتكلم بلغة اجنبيه . والثالث ما اتفق عليه الطلبة من مضايقة معدهم بالاغذية الضارة مما يكون منه اعتلال الجسم والفكر معاً

فلما لم يجد الاستاذ مناصاً من ارادة ابيه خلا بنفسه واجتمع بفكره وذكائه فهان الامر بعد ذلك عليه واصبح ما يحصله رحمه الله في يوم واحد من هذه الدروس المعقدة المشوشة مثلما يحصله سواه في عام اوعامين . ومما يروى عن ذكائه انه لم يمر شهر في درس كتاب الكفراوي في النحو حتى بدا له شيء من غلط الكتاب وتناقضه في بعض المواضع فنبه شيخه الى ذلك فاعترف معه به ولكنه قال انا ندرس هذا الكتاب تبركا

ثم جاء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر فاجتمع به الفقيد واخذ عنه كثيرا من فلسفته وعلمه وكان السيد جمال الدين يقول عنه انه انجب تلاميذه وانه لمصر اقوى من اسطول واعز من جيش . وقد لبث جمال الدين بمصر عشر سنين فكان الاستاذ ساعده الايمن لا يكتب السيد موضعا علميا الا بروح الفقيد وقلمه ولا يجادل احدا الا فلسفياً الا كان فيه شيء من ذكائه وفكره . ولما طرد السيد جمال الدين قال « وهو في سجن السويس منتظراً الباخرة التي تحمله منفيا »

اتى تركت الشيخ محمد عبده وكفاه لمصرى عالما

وكانت اولى الوظائف التي تولاها تحرير الوقائع المصرية ثم عين مديرا للمطبوعات المصرية ولما عزل اسماعيل باشا وتولى رئاسة النظار رياض باشا قرب الفقيد اليه واتخذه مستشاراً ثم كان ماكان من الثورة العرابية فبذل جهده فى اقناع اهلها بسوء عاقبتها حتى هموا كثيرا بقتله

ثم هدأت الثورة بعد الاحتلال فاتهم الفقيد بانه كان من رجالها فنفى الى الشام فلبث فيها عاما ثم دعاه السيد جمال الدين الافغانى الى مدينة باريس فأصدر بها جريدة (العروة الوثقى) ثم عاد الي مصر بعد ان تبينت برأته للحكومة المصرية فعين قاضيا جزائيا فى المحاكم الاهلية ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم عين مفتيا للديار المصرية . اما اعماله النافعة فكثيرة لا يحيط بها بيان نذكر منها تدريسه القرآن الشريف بما لم يسبقه اليه احد حتى كان شرحه له تفسيره شرحا علميا عصريا خاليا مما حشاه السابقون. ومنها اعماله فى مجلس الشورى وهى كل حسناته هذا عدا الافتاء والتأليف الذى منها رسالة التوحيد الشهير وتفسير جزء (عم) وتعريب الرد على الدهريين. ولم يقف عند هذا الحد رحمة الله من الاعمال النافعة بل وجه نظره الشريف الى الازهر فاصلح ماقدر على اصلاحه وكان والمريض يساوره يشتغل بمشروع

مدرسة تخريج القضاة الشرعيين ثم انه كان فوق هذه الاشغال الكبيرة يكاتب المجلات باعظم الموضوعات الادبية والعلمية مما كان له شأن كبير فى العالم كله نذكره من ذلك رده على المسيو هانتو وعلى بعض مقالات ظهرت فى الجامعة . وله عدا ذلك كله اعمال انسانية انتفع بها خلق كثير

هذه أعماله اجمالاً . أما أخلاقه فقد كان حليماً واسع الصدر كريم النفس . فما قصده ذو حاجة الا سعي له سعيها حتى يقضيها له وما أساء اليه انسان الا اجتهد أن يقابل الاساءة منه بالاحسان. فقد كان أنجال المشايخ فى الأزهر يتناولون مرتبات آبائهم بالوراثة فرأى الاستاذ فى ذلك غبناً للعلماء لأن هذه المرتبات انما هى وقف عليهم فأعاده الاستاذ اليهم وعوض أنجال المشايخ عنها بما كان يجمعه لهم بسعيه فى رأس كل شهر من أمواله وأموال محبيه . ولقد شوهد وهو ساع هذا السعى عقيب اعتزاله الازهر وقيام الشيوخ فى وجهه محاربين فأعظم بهذا ا كراماً وحلماً

ولقد كان رحمه الله وطنياً بحقيقة معنى الوطنية وكان لا ينئ له عزم فى كل أدوار حياته عن ترقية الأمة واصلاح شؤنها . وله حسنات غير ذلك كثيرة تدل على ان الرجل رحمه لله كان كبير الهمة واسع العلم شديد الغيرة على الأمة والبلاد



نحمد الله على الهداية . ونعوذ به من الغواية . ونصلي ونسلم على خاتم رسله .وآله وصحبه هداة سبله . وبعد فقد أتيح لي الاطلاع على رسالة فارسيــة في نقض مذهب الطبيعيين من تصنيف العالم الكامل . محيط المعرفة الشامل . الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني . أما الشيخ فله من لسان الصدق ورفيع الذكر مالا يحتاج معـه الى الوصف وأما الرسالة فعلى ايجازها قد جمعت لارغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين ما لم يجمعه مطول في طوله وحوت من البراهين الدامغـة والحجج البالغـة ما لم يحوه مفصل على تفصيله * دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه ايام كان في البلاد الهندية عند ما رأى حكومة الهند الانكليزية تمد في الغي جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وان كثيراً من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل مولوى محمد واصل مدرس الفنون الرياضية بمدرسة الأعزة بمدينة

حيدر آباد الدكن من بلاد الهند فاجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه
بانشاء رسالة في بيان ما كثر السؤال عنه . وقد حدانى علو الموضوع
وسمو منزلة الرسالة منه الى الاجتهاد فى نقلها من لغتها الى اللغة العربية
فتم لى ذلك بمساعدة عارف افندى الافغانى تابع الشيخ المؤلف ورجونا
بذلك تعميم الفائدة وتكميل العائدة ان شاء الله وأنا نذكر ترجمة
الرقيمين مبتدئين برقيم مولوى محمد واصل وهو

١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ﴿ بعد رسول المخاطبة ﴾

يقرع اذاننا فى هذه الايام صوت نيشر نيشر وانه ليصل الينا من
جميع الاقطار الهندية فى الممالك الغربية والشمالية و﴿أوده﴾ و ﴿بنجاب﴾
و﴿ بنجاله ﴾ و ﴿السند﴾ و ﴿ حيدر آباد الدكن ﴾ ولا تخلو بلدة أو
قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ﴿ نيشرى ﴾ ويظهر لنا ان من
تعلق عليهم هذا القلب ينموا عددهم على امتداد الزمان خصوصا بين
المسلمين ولقد سألت أكثر من لاقيت من هذه الطائفة . ما حقيقة
النيشرية . وفى أي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه
الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدينة ولا تعدو هذا المقصد
أولها مقاصد أخرى . وهل طريقتهم تنافى أصول الدين المطلق أوهى لا
تعارضه بوجه ما . وأي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين فى

عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنتشر بيننا ولم نعهد لها دعاة الا في هذه الاوقات. وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها واي أثر يكون عن الاخذ بها

ولكن لم يفدن أحد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام اه

وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني جوابا عن الرقيم السابق محي العزيز

النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك في الأموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا الاجراء مقصدهم هذا وبالغوا في السعي اليه وتلوّنوا لذلك في الوان مختلفة وتقلبوا في مظاهر متعددة وكيفما وجدوا في أمة افسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال

وأيما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلى له ان لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة

الاجتماعية الانسانية . اذ لا ريبة فى ان الدين مطلقاً هوسلك النظام الاجتماعي وان يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة . وأوّل تعليم لهذه الطائفه اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني

وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهى انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة أمر ولا فى وقت من الاوقات

ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة ارجو ان تكون مقبولة عند العقل الغريزى لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوى العقول الصافية نظرة الاعتبار

وهذه هى الرسالة

حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين وبيان حالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك

الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

الذين قوام الامم وبه فلاحها . وفيه سعادتها وعلية مدارها .

النيشرية جرثومة الفساد . وأرومة الادادا . وسراب البلاد .

وبها هلاك العباد .

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية فى هذه الايام

واصبحت هذه الكلمة دائرة فى المحافل سيارة فى المجامع وللعامة والخاصة

فيها مذاهب وهم وطرائق وهم . فالغالب منهم يخبط على بعد من

حقيقتها فى غفلة عن اصل وضعها .

لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها

وارفع الستار عن حال النيشريين من بداية امرهم وأعرض للناظرين

شيئا من مفاسدهم وما لحقوا بالنوع الانسانى من المضار التى خبث

اثرها وساء ذكرها مستنداً فى ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من

البرهان العقلى بدليل يثبت أن هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها

لم يفش رأيها فى أمة من الامم الا كان سبباً فى اضمحلالها وانقرضها

أثبت ثقاة المؤرخين ان حكماء اليونان انقسموا فى القرن الرابع

والثالث قبل المسيح الى فئتين. ذهبت احدها الى وجود ذات مجردة عن

المادة والمدة مخالفة للمحسوسات فى لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية

وعوارضها واثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرّإ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية . واشتهرت هذه الطائفة . بالمتأهلين «الخاضعين لله» ومنهم فيثاغورث وسوقراط وافلاطون وارسطو ومن أهل مذهبهم كثير . وذهبت أخرى الطائفتين الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه وعرفت هذه الطائفة «بالماديين» ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبه الأقدمون منهم الى طبيعتها . واسم الطبيعة في اللغة الفرنسوية «ناتور» وفي الانكليزية «نيشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين . وعند الفرنساويين باسم «نتوراليسم» أو «ماتيراليسم» الأول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى أن وجود

الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على مانرى انما هو من الاتفاق وأحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها الامنشأ له الا الصدفة . كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلامرجح وقد أحالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس . ومن رأيه أن العالم أجمع أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة

وذهب فريق آخر الى أن الأجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من أزل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا أن فى كل بزرة نباتا مندمجاً فيها وفى كل نبات بزرة كامنة ثم فى هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا أن فى كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تام التركيب وفى كل حيوان كامن فى الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية فى مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع

كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لاشيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه مايشاكله من جرثومة وبزرة أخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقه قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا أن أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا وأول النازعين الى هذا الرأى « ايقور » أحد اتباع «ديوجينس الكلبي» ومن مزاعمه ان الانسان فى بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقى الأنواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا « طبقات الارض » عن بطلان القول بقدم الانواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث

ثم اختلفوا فى بحثين . الأول بحث تكوُّن الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الارض فى التناقص ثم انقطع التكوُّن بانقضاء ذلك الطور الارضى وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً فى خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هى التى تجعل غير الحى من الاجزاء حياً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من أن الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعمرة

والبحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص)

الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة. فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها فى الأطوار الحيوية وتجتذب اليها ما يلائمها من الأجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه. وقد غفلوا عما أثبته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها . ومنهم ذاهب الى أن جراثيم الأنواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية فى الحقيقة وليس بين الأنواع تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى بمقتضي الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواصر الخارجية

ورأس القائلين بهذا القول « دروين » وقد ألف كتاباً فى بيان ان الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ « أوروان أوتان » ثم ارتقى من تلك الصورة

الى أول مراتب الانسان فكان صنف اليم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض افراده الى أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك

فان سئل دورين عن الأشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظنا وأصولها تضرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته اوأشكال أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأى فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء . اظن لاسبيل الي الجواب سوي العجز عنه .

وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسبين مع تشاركها فى الأكل والمشرب وتسابقها فى ميدان واحد ترى فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيداً فى الألوان والأشكال والأعمال فما السبب فى هذا متباين والتفاوت فلا أراه يلجأ فى الجواب الا الى الحصر (بالتحريك العجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولاتسلم حياتها فى سائر المناطق أو الحشرات المتباينة فى الخلقة المتباعدة فى التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولاطاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها. كأنها تكون كسفاً لا كشفاً

بل اذا قيل له أيّ هاد هدى تلك الجراثيم فى نقصها وخداجها وأى مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة فى عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوى مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهادياً خبيراً لطرق جميع الكمالات الصورية والمنوية لاريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبدالآبدين

وكانى بهذا المسكين ومارماه فى مجاهيل الأوهام ومهامه الخرفات الآقرب المشابهة بين القردوالانسان وكان ماأخذ به من الشبه الواهية

الهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبريا وبلاد الروسية أطول وأغزر شعرا من الخيل المتولدة فى البلاد العربيه وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته فى بقعة واحدة الوقتين مختلفين حسب كثرة الأمطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أوهد علة النحافه ودقه العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن فى أهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل فى الحرارة وقلته فى البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (درون) من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذناب كانه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته.. وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفاً من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحداً منهم مختوناً الا لاعجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخرين الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم وأخذوا طريقا جديدة فقالوا ليس من الممكن أن تكون

المادة العاريه عن الشعور مصدرا لهـذا النظام المتقن والهيئة البـديعة والأشـكال المعجبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفى سره وظهر أثره ولـكن العلة فى نظام الـكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدّر لأشـكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء « متيير » و« فورس » و« انتليجانس » أى مادة وقوة وادراك

وظنوا أن المادة بما لها من القوة وما يلابسـها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الاشـكال والهيئات وعند ما تظهر بصور الأجساد الحية نباتية كانت أو حيوانية تراعى بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشيء لها من الاعضاء والآلات ما يفى بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا ألف حجر وخرجوا من ألف نفق وما هو بأقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر أصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية ولا ينطبق رأيهم الجـديد فى علة النظام الـكونى على رأيهم فى تركب الاجسام

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لـكل جزء

دیمقراطیسی شعور خاص كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فاني سائلهم كيف أطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينوبه من مطلبه وأيّ برلمان « مجلس الشورى » أو أيّ سنات « مجلس الشيوخ » عقدت للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف وانى لهذه الاجزاء ان تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طيراً كل الحبوب فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بأنها تقوّم طيراً يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصول بهما فى الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله

ومن أين لها أن تعلم وهى فى مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة أنثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى الوقت من الاوقات وقد تلد أجراء متعدده فى زمن واحد فهى تهيأ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة اجرائها

ومن لهذه الاجزاء المتبددة أن تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الأعضاء والجوارح . لو عقلت هذه الطائفة ماربى اليه سؤالى هذا لارتكست فى أفكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأساً ولاتحير جوابا الى أن يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون أن لكل جزء من هذه الاجزاء الدمقراطيسية علما بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما فى العالم من الاجزاء علوياً كان أو سفلياً ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون وأركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريده من المصلحة حتى لا يقع الخلل فى شيء من نظم العالم عاما كان أو خاصا وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان أفضت بهم العماية الى هذا القول قلنا أولاً يلزمهم أن كل جزء دمقراطيسي يحتوى على ابعاد غير متناهية وهو فى صغره لا يدرك ولا بالمكرسكوب ﴿النظارة المعظمة﴾ وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة فى ذات العالم وهو مادى فى موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم فى مادة الجزء العالم فيكون فى كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور الغير

المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانيا ان كانت الاجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهى من القوة على نحو اذ لاقوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات وهى وهى غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والأوصاب ثم تعانى العناء فى احتمالها أو التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الاجزاء على هذا المذهب عن اكتناه حالها انفسها وعجز عن حفظ حياتها

واعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ماصافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة فى بعض الأمور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة لاأصل الطبع ولا أصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان فى الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعدما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطيسية رجماً بالغيب بأنها ذوات أشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف فى الاشكال والاوضاع كان الاختلاف فى الاثار والخواص

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالوهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الأقدس وهم المعرفون بين شيعهم او

عند الالهين بالطبيعيين والماديين والدهريين واذا شئت قلت نيشريين وناتور اليسميين وما تيير اليسيين وسنأتى على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية فى رسالة أوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعا بهؤلاء (البياجوات) الهنديين البياجوا اسم ايطاليانى اشتهر فى الهند لمن يقلد الماهر فى اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه فى العربية بالخلابيس واصله الشيء لانظام له والطبيعيون فى الهند يمثلون احوال الدهرين فى أوربا تمثيلا مضحكا) كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من وقائع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو أريد انشاء تياترو (ملهى) او (كطبتلى) *(نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين)* لتمثل فيه أحوال الأمم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألاعيب وانما غرضنا الاصلى اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع فى بيان المفاسد التى جلبها الماديون *(النيشريون)* على نظام المدنية والمضار التى تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشاؤها فشو افكارهم

﴿ مظاهر الماديين ومقاصدهم ﴾

تخالفت مظاهر الماديين فى الأمم والأجيال المختلفة فتخالفت اسماؤهم فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسماة الحكما وينتحلون الحكيم لقبا لافراداهم . وأحياناً كانوا يتسيمون بسيمادافع الظلم ورفع الجور . وكثيرا ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقدكانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعى فى تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات . وتارات يتمثلون فى صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين . وكثر ماتجرأوا على دعوي النبوة ولكن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفي أى صورة تمثلوا وبين أى قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم يميتون القلوب الحية بأقوامهم وينفثون السم فى الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث فتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الامة وفقدت قوام وجودها

كان الانسان ظلوما جهولا . خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً . جبل الانسان على الحرص وكانه منهوم لشر الدماء . لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصائص توارثها الابناء عن الاباء فى قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ماورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفه يهتدون بها الى سعادتهم ويقيمون فى ضوئها أساس مدنيتهم ولم تبطل أثرها فى تعديل اخلاقهم وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من أهل القرون الأولى ماكان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفة النيشرية كلما ظهرت فى أمة سعت فى قلع تلك الأصول وأفساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الامة وانهارت الى هواءة الاضمحال والعدم وهذه الطائفة هي الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين وآنا نوضح ذلك بمجمل من البيان

﴿ ما أفاد الدين من العقائد والخصال ﴾

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث كل منها ركن لوجود الأمم وعماد لبناء هيئتها الأجتماعية

وأساس محكم لمدنيتها وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذرى السعادة ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس فمن الشر ويزعها عن مقارفة الفساد ويصدها عن مقاربة ما يبيدها

﴿العقيدة الاولى﴾ التصديق بان الانسان ملك أرضي وهو اشرف المخلوقات ﴿والثانية﴾ يقين كل ذي دين بان امته أشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ﴿والثالثة﴾ جزمة بان الانسان أنما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيبه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوى والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة أن تسمى بيت الأحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خاليا من المؤلمات لاتنقضي سعادتها ولا تنتهى مدتها.

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة فى الاجتماع البشرى والمنافع الجمة فى المدينة الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الأمم ومالكل واحدة من الدخل فى بقاءه النوع والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة. والاخذ بهمم الامم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها . فما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولاريب انه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها بأوفر الحظوظ حتى قد ينتهي به الحال الى ان يكون واحداً من أهل المدنية الفاضلة يحيي مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة وأصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية فى لدنيا وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرية في حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدى طريقا لحفظ حياتها وتقضي آجالها فى دهشة الفزع ووحشة الانفراد

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدي لافتراس بعضهم بعضاً كما يقطع بين الأسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة

الحيوانات فى خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر فى حركاته وأنجح داع للعقل فى استعمال قوته وأقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل

أن شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أى حد تصل بهم الشرور وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل أن ينهض آحادها لمكاثرة الأمم فى مفاخرها ومساماتها فى مجدها ومسابقتها فى شرائف الأمور وفضائل الصفات وان يتفق جميعها على الرغبة فى فوت جميع الأمم والتقدم عليها فى المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ومعاشية كانت أو معادية وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية والرضي بالضيم لنفسه أو لاحد من بنى امته ولا يسره أن يرى شيئا من العزة أو مقاما من الشرف لقوم من الأقوام حتى يطلب لامته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه اليق واجدر بكل ما يعد شرفا انسانياً

فاذا جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم او ثلمت مجدهم أو سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له جيشان فهو يمضي حياته فى علاج ما ألمّ بقومه حتى يأسوه أو يموت فى أساه

فهذه العقيدة أقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية وأمضى الأسباب بها الى طلب العلوم والتوسع فى الفنون والابداع فى الصنائع وانها لا بلغ فى سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور فى حركات آحادهم نحو المعالي وماذا ترى من قصور فى هممهم عن درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة والى أى هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم ادنى من سائر الملل كطائفة ﴿ الدهير ﴾ و ﴿ مانك ﴾

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه كما لا يعرج به الى عالم ارفع ويرتحل به الى دار أوسع وجناب أمرع ليمرع واديه وتجنى حلبه أن من أشربت هـذه العقيدة قلبه

ينبعث بحكمها وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية أن يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ماأودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير فى تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكبا عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضا عن أبواب الرشوة مترفعا عن الملق الكابي والخداع الثعلبي ثم ينفق ما كسب فى الوجه الذى يليق وعلى الوجه الذى ينبغى وبالقدر الذى ينبغى لا يأتى فيه باطلاً ولا يغفل حقاً عاما أو خاصا

فهذه العقيدة أحكم مرشد وأهدى قائد للانسان الى المدينة الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لاعماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم هذا الأعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم اذ لاعقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود

المعاملات . هـذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدون والمسالمة فان المسالمة ثمرة العـدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة وهي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجـد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسي السعادة

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلاً من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغـدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة

﴿ الخصال الثلاثة ﴾

وأما الخصال الثلاثة التي توارثتها الامم من تاريخ قد لا يحـد قدماً وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمـة وينحي عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عنـد الناس نقصاً وفي الحق أن يقال إن تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتـكاب الشنائع أشـد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من

الشرط والمحتسبين فأن النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدرعنها من الأعمال فاي عقاب يردعها عن المفاسد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك ﴿ سولون ﴾ حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها وهو معصم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الآباء وسجية الغيرة وانما تختلف أسماؤها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شيء أوحملها على عمل والأباء والغيرة هما مبعث حركات الأمم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسنم قمم الشرف والرفعة وتقوية الشركة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة

وكل أمة فقدت الغير والأباء حرمت الترقي وإن تسنى لها من أسبابه ماتسنى فهي تعطى الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة والمسكنة حتى ينقضي أجلها من الوجود . ملكة الحياء تنتهي اليها زوابط الالفة بين آحاد الامة في معاشراتهم ومخالطاتهم فأن

حبال الالفة انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحدود ولا
يكون ذلك الا بهذه الملكة الكريمة . هذه سجية تزين صاحبها
بالآداب وتنفر به عن الشهوات البهيمية وتفيض روح الاعتدال
على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذى ينهض
بصاحبه لمجاراة أرباب الفضائل ويتجافى به عن مضاجع النقائص
ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة أو الضعة والضراعة . هذا
الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الأمانة وهما معه فى
قرن . هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة
لمكارم الأخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها
فى نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم
ويقعدون القائم ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله
ألا تستحى من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه فان لم تكن هذه
الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة فانكشف
مما بينا ان هذه الخلة مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة
وسلم لكل ترق

ويمكن لنا أن نفرض قوماً هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم سوى
المجاهرة بالفحشاء والمنافسة فى المنكر وشوس الطباع وسوء الأخلاق

والاخلاد الى دنيات الأمور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم شناعة أن نرى تغلب الشهوات البهيمة عليهم وتملك الصفات الحيوانية لارادتهم وتسلطها على أفعالهم

﴿ والخصلة الثانية الامانة ﴾ من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات فى منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة أنما هى الامانة فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الامم فى رفاهتها والشعوب فى راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأى أنواعها أما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة فى أى صورها لا تقوم الا برجال يلون ضروباً من الأعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الوالج فى ثغورها وحفظة فى داخل البلاد يأخذون على أيدى السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتقاد من فتك أو سلب أو نحوهما ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الأحكام لفصل الخصومات والحكم فى المنازعات ومنهم أهل جباية الأموال يحصلون

من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها
في ذلك ثم يستحفظون مايحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن
الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى
صرف هذه الأموال في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد
والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر
واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي ارزاق سائر العاملين
في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم
حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على
أعمالها إنما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة فان
خزيت أمانة أولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السلطة
وسلب الامن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق
المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة
وتفتحت عليهم أبواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة
وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمر سدت عليها نوافذ
النجاة ولا ريب ان قوما يساسون بحكومة خائنة إما أن ينقرضوا
بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية عنهم يسومونهم خسفاً
ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية ما هو أشد

من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين إنما يكون باتحاد آحاد العاملين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هـذا الاتحاد حتى تـكون الامانة قد ملـكت قيادهم وعمت بالحـكم افرادهم

فقـد كشف الحق أن الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر اساس الحـكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان وروح المدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار فى فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هـذه الخلة الجليلة فلا تجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلـكة وفقرا معوزا وذلا معجزا ثم لا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها امهات اللهيم

﴿ الخصلة الثالثة الصدق ﴾ الانسان كثير الحاجات غير معدود الضرورات وكل ماسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستار الخفاء محجوب وتحت حجاب الغيب مكنوف . قذف بالانسان من غيب مجهله الى ظهور لا يعرفه فقام فى بدإ نشأته فى زاوية عماء لا يذكر اسما ولا يعهد رسما . هذا الانسان على ضعفه كانما أحفظ الأكوان

قبل وجوده فارصدت له القتال وهيأت له النضال فله فى كل مثناة منها كامنة بلية وفى كل حنو رابضة رزية وكل أفاق سهمه فى قسى الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق واللمس ولكن لاغناء بها فى هدايته لاقرب حاجاته وارشاده لدفع ماخف من ضروراته فأحجى ان لا كفاء لها فى استطلاع مكامن البلايا واكتشاف مخابئ الرزايا ليأخذ حذره ويحرز أمره فهو فى حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر أمثاله من بنى جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق مافيه قوام معيشته وسداد عوزه والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر فى الهداية الا أن يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكى عن مشهود والا فما الهداية فى خبر لا واقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريباً والقريب بعيداً ويظهر النافع فى صورة الضار والضار فى صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركناً ركيناً للوجود الانسانى وعماداً للبقاء الشخصى والنوعى وموصل العلائق الاجتماعية بين

آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة مدنية أو منزلية بدونه

وانظر فيما اذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها وواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التئامها

﴿ تفصيل غايات النيشريين ﴾

هؤلاء جحدة الالوهية فى أى أمة وبأى لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل . قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاما باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا أن لا حق لملة من الملل أن تدعي لنفسها شرفا على سائر الملل اعتمادا على أصول دينها بل الأليق بها على رأيهم أن تعتقد أنها ليست أولى من غيرها بفضيلة ولا أجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع هذا الرأى الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالى كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان فى المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من

المزايا ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمة ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت فى الربيع مثلا وتيبس فى الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفي فى هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأى الفاسد أطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى أنواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع فى كل رذيلة وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشرى وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق وتعرّف أسرار الطبيعة

(هذا الوباء المهلك والطاعون المجتاح أعنى النيشريين) لا يصيب أهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وإبائها عن وضع أقدامها فى منازل الحيوانية المحضة وانفهامن الاشتراك فى الأموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها فقالوا ان الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم

لها كما لها لم يفلتها الحياء فى عمل ما كائناً ما كان. فن الواجب الطبيعى (فى زعمهم) أن يسعى الانسان فى معالجة هذا الضعف (الحياء) ليفوز بكمال القوة (قلة الحياء) وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ويزجونه بالهامجات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة ويهونون عليه اتيان ما تأتيه فى نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأهما فى النفس الانسانية امر ان الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر ان من اصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم فى اذاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب. فان منشأ الفضيلتين مادام فى النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعى الى الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط فى الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنهما مرة أخرى أما لو محى الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضدهما

وبزيد فى شناعة ماذهبوا اليه أن فى أصولهم الاباحة والاشتراك

المطلقين فيزعمون ان جميع المشتبهات حق شائع والاختصاص بشيء منها يعد اغتصابا كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب (فى زعمهم) فلا يعد ارتكاباً للقبيح . لاجرم ان آراء هذه الطائفة مروجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب حاملة بالانفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وأن امة تفشو فيها هذه الحوالق لجديرة بالفناء جالية عن باخة البقاء. فقد انكشف الخفاء بما بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوى الهلكة والدمار

واقول انها من أشد الاعداء للنوع الانساني كافة فان ماهاج فى رؤس ابنائها من الماليخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح فى صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لا يقاد النار فى بيت هذا النوع الضعيف ليحموا بذلك رسمه من لوح الوجود . فان من الظاهر عند كل ذى ادراك ان افراد هذا النوع يحتاجون فى بقائهم الى عدة صنائع لولم تكن أهلكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت الضروري والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها

الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوى لا يتفاوتون في حظوظهم. فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الأخذ بالأسهل والأفضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلبا للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وأفضي الى تدهور هذا النوع في هوة الهلاك نعم انه أفكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ولو فرضناه محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب ان تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملي ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أو باطن صورى أو معنوى ويعطل من حلي الصنائع وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ويصبح في ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسي مجده وينثل عرش شرفه ويصحر في بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضى فيها أجلا قصيراً مفعما بضروب من الشقاء محاطاً بانواع من المخاوف

محشواً باخلاط من الاوجال والاهوال . فان المبدأ الحقيقى لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة فى الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقات الى المباراة والمسابقة فلو سلبتهما افراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الامور وغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان فى معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك وهيهات هيهات

﴿ مسالك النيشريين فى طلب غاياتهم ﴾

سلكوا مخالج من الطرق لبث أوهامهم الفاسدة . فكانوا اذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال. واذا أزعجتهم سطوة العدل أخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على أركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها فى آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها أذا رأوا قوة المانع دون سائرها فيجعلون ما قصدوا منها مرمى انظارهم ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة. وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة باسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها أو ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها. وقد يكفون بانكار

الصانع جل شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علما منهم بان فساد هاتين العقيدتين ﴿الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب﴾ لامحالة يفضى الى مقاصدهم ويؤدى الى نتيجة أفكارهم . وكثيراً ماسكتوا عن ذكر المبادى وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة والاشتراك وأخذوا فى تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية باى وجوهها عملاً جاهلياً تأنف منه الطباع وتأباه شرائع الانسانية ذلك أن يأخذوا معارضيهم بالغدر والاغتيال فكثيراً مافكتوا بآلاف من الارواح البريئة وأراقوا سيولا من الدماء الشريفة بطرق من الحيل وضروب من الختل

﴿ ضرر مذاهب النيشريين حتى بعقول من لايأخذ بها ﴾
— اذا خالطهم —

متى ظهر النيشريون فى أمة نفذت وساوسهم فى صدور الاشرار من تلك الامة واستهوت عقول الخبثاء الذين لا يهمهم الا تحصيل شهواتهم ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لاهوائهم الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج المشرب النيشرى واذاعته بين العامة غير ناظرين الى ما يكون من أثره . ومن الناس من

لايساهمهم فى آرائهم ولا يضرب فى طرقهم الا أنه لايسلم من مضارها ومفاسـدها فان الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسرى لاخلاقه من حيث لايشعر حيث ان أغلب الناس مقلدون فى عقائدهم منقادون للعادة فى أخلاقهم وأقل التشكيك وأدني الشبهة يكفى علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة . وان هؤلاء النيشريين عما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون فى النفوس بذور المفاسد فلا يلبث أن تنموا فى تراب الغفلة فتكون ضريعاً وزقوماً

ولهذا قد يعم الفساد افراد الامة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل لا يدرى من أى باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل منهم وان كان يدعى بلسانه انه مؤمن بيوم الجزاء وفى نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا ان عمله عمل من يعتقد ان لاحياة بعد هـذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو فى غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الاثرة وهو افراط الشخص فى حبه لنفسه الى حد لو عرض فى طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لوزم هذه الصفة ان

صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بأبخس الاثمان بل يزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به فى هاوية الذل ويكتفى من الحياة عدّها وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال فى أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

﴿ بيان الامم التى خنعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة والشرف ﴾

بما افسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب ﴿ الكريك ﴾ أى اليونانيون كانوا قوماً قليلى العدد وبما ألهموا او ورثوا من العقائد الثلاث خصوصا عقيدة أن أمتهم أشرف الامم وبما اودعوا من الصفات الثلاث خصوصا صفة الانفة والاباء وهى عين الحياة ثبتوا احقابا فى مقاومة الامة الفارسية وهى تلك الامة العظيمة التى كانت تمتد من نواحى كشغر الى ضواحى استنبول ذلك فوق مابلغوه من الدرجات العالية فى العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والانفة من العبودية على الثبات فى مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذراً من

الوقوع فيما يليق بارباب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الامر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة ﴿ دولة فارس ﴾ وهدموا اركانها ومدوا أيديهم الى الهند وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة كما تراه فى قصة ﴿ تيستوكليس ﴾ وهو قائد يونانى نبذه أبناء جلدته وطردوه وارصدوا له القتل فاضطر للفرار من أيديهم والتجأ الى ﴿ ارتكزيكسيس ﴾ ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان أمره ارتكزيكسيس أن يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى أن يحارب امته وان كانت طردته فلما ألح عليه الملك الفارسى ولم يجد محيصا تناول السم ومات أنفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر أبيقور الدهرى واتباعه الدهريون فى بلاد اليونان متسيمين بسيما الحكماء وانكروا الالوهية ﴿ وانكارها أشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأتى بيانه ﴾ ثم قالوا مابال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص ويزعم انه أشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكونات . مابال هذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقادات له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية ينقل اليها بعد الرحلة

من هـذه الدنيا ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل، وسد في وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعية وحرم نفسه كثيراً من الحظوظ الفطرية مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشؤون بل هو أدنى وأسفل من جميعها في جبلته وانقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من الصنائع فانما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسج مثلا نقله عن العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع أخذ فيه مأخذ النمل الابيض وادخار الاقوات حذا فيه حذو جنس النمل وتعلم الموسيقى من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هـذا شأنه من النقص فليس من اللائق به ان يقذف بنفسه في ورطات المتاعب والمشاق عبثاً ومن الجهل أن يغتر بهـذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى في عالم آخر بل أجدر به أن يلقي ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضي حق الطبيعة البـدنية من حظ اللذة ومتى سنح له عارض رغبة حيوانية وجب عليه تناوله من أي وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ماتخيله له أوهام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق ﴿ لبئس

ماسولت لهم أنفسهم نعوذ بالله ﴾ فتلك أمور وضيعة ﴿ فى زعمهم ﴾ تقيد بها الناس جهلا فلا ينبغي لابن الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلا ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء من الامة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سداً دون طلباتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس وأعلنوا أن الحياء ضعف فى النفس على ما تقدم وزعموا أن من الواجب على طالب الكمال أن يكسر مقاطر العادات (جمع مقطرة وهى خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه أن يأتى كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد أدنى خجل فى المجاهرة بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا حجاب الحياء ومزقوا ستاره وأراقوا ماء الوجه الانساني المكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها ام لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا رأوهم رموهم بالعظام المعروفة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردعها رادع الزجر عن شىء من شرورها وكانت تنبح فى الاسواق منادية المال مشاع بين الكل

وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكلبيين

فلما ضرب افكار النيشريين ﴿الدهريين﴾ فى نفوس اليونان بسعي الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم وتحولت أمانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الاركان الستة التى كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض أساس انسانيتهم ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى فى أيدى الرومانيين ﴿جنس اللاتين﴾ وكبلوا فى قيود العبودية زمنا طويلا بعد ما كانوا يعدون حكاما فى الارض بلا معارض

﴿الامة الفارسية﴾ بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال احقابا طويلة فكانت لها أصول السعادة وموارد النعيم حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لانفسهم الى حد انهم كانوا يزعمون ان السعداء من غيرهم انما هم الداخلون فى عهدهم المستظلون بحمايتهم أو المجاورون لممالكهم

كان الصدق والامانة أول التعليم الدينى عندهم ووصلوا فى التخرج

من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم لا يتقدم للاقتراض خوف أن يضطره الدين الي الكذب فى مواعيد وفائه فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنساوى فرنسيس لونورمان ان مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت أحدى وعشرين ايالة . واحدة منها تحتوى مصر وسواحل القلزم ﴿البحر الاحمر﴾ وبلوجستان والسند. وكانوا اذا ألم الضعف بسلطانهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك العقائد القوية والصفات الكريمة على تلافى أمرهم فخلصوا مما ألم بهم في قليل زمن ورجعوا الى مكانتهم الاولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم ﴿مزدك﴾ النيشري ﴿الدهرى﴾ على عهد ﴿قباد﴾ وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ونسفها فى الهواء وبددها فى الاجواء فانه بدأ تعليمه بقوله . جميع القوانين والحدود والآداب التى وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبنى على الباطل وان الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم . أى عقل وأى فهم يصل الى سر

ما شرعته البشر « الطبيعة » وأى ادراك يحيط بمثل ما أحاط به وقد جعلت الطبيعة حق الأكل والشرب والبضاع مشاعا بين الآكلين والشاربين والمبضاعين بدون أدنى تخصيص . فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقيادا لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وأدبا . وأى حق يستنداليه من يدعى ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع انه شائع بينه وبين غيره . وأى وجه لمن يحجر على أمرأة دخلت فى عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر للانثي والانثي للذكر وما ذا يوجد من العدل فى قانون يحكم بان المال الشائع اذا تناولته يد مغتصب عما يسمونه بيعاً وشراء او أرثاً يكون مختصاً بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لأخذ شيء من حقه والتمتع به بانه خائن أو غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان ان يفسك اغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب التى لا واضع لها سوى العقل الانسانى الناقص وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ويقضى حق شهوته من اللذائذ التى أباحتها له بأى الوجوه ومن أية الطرق ويأخذ فى ذلك مأخذ البهائم وعليه أنه

يقاوم الغاصبين المتحكمين فى الحقوق قسرا (أى المالكين للأموال والأبضاع) فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور (أى حق التملك)

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الأمة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ورذلت طباعهم

نعم أن أنوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول والتبست تفاتيها بالافكار فكان علة فى ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الا حملة واحدة فانهزموا مع ان الروم وهم أقران الفارسيين ثبتوا في مجالدة العرب ومقاتلتهم أزماناً طويلة

(الامة الاسلامية) جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت فى نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤس الامم من جبال الالب الى جدار الصين فى قرن واحد وحثوا تراب المذلة على رؤس الاكاسرة والقياصرة مع انهم

لم يكونوا الا شرذمة قليلة العدد نزرة العدد ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسطوة في السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى ماجزبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من أمم مختلفة مع انهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه هكذا كان حال هـذه الامة الشريفـة من العزة ومنعة السلطان .

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد أنار قلوب المسلمين كافة وان علماء الدين الحنيفي قائمون على حراسة عقائد المسلمين وأخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلهذا ذهب أولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور أولا اثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو في حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا منه مواثيقهم

ثم أوصلوه الى مرشدهم الكامل وثالثاً أوعزوا الى دعاتهم أنه يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامى لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي أن يكون بارعا فى التشكيك ماهرا فى التلبيس مقتداراً على إشراب القلوب مطالبه . فاذا سقط الساقط من المغرورين فى حبالة مرشدهم الكامل فأول مايلقنه المرشد قوله . ان الاعمال الشرعية الظاهرة ﴿ كالصلاة والصيام ونحوهما ﴾ انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هو المرشد الكامل فحيث انك وصلت الى الحق فاليك أن تلقى عن عاتقك ثقل الاعمال البدنيه فاذا مضى عليه زمن فى عهدهم صرحوا له بان جميع الاعمال الباطنية والظاهرة وكذلك سائرا الحدود والاعتقادات انما ألزمت فرائضها بالناقصين المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول أما وقد صرت كاملا فلك الاختيار فى مجاوزة كل حد مضروب والخروج من أكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام . ما الامانة وما الخيانة . ما الصدق وما الكذب . ماهى الفضائل وماهي الرذائل . ألفاظ وضعت لمعان مخيلة وما لها من حقيقة واقعية (فى زعم المرشد)

فاذا قرر المرشد أصول الاباحة فى نفوس اتباعه التمس لهم

سبيلا لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية (الدهريين)فأتي اليهم من باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجوداً لأشبه الموجودات ولو كان معدوماً لأشبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم (يعنى انه يقر بالاسم وينكر المسمى) مع ان شبهته هذه سفسطة بديهة البطلان فان اللهمنزه عن مشاركة الممكنات فى خصائص الامكان أما فى مطلق الوجود فلامانع من أن يتفق اطلاق الوصف عليها وعليه وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكنا

وقد جدّت طائفة الباطنية فى افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير أخذاً بالحيلة ونفاذا بالخدعه حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا لدرإ مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الغيلة ففتكوا بكثير من الصالحين وأراقوا دماءجمغفيرمنعلماءالامه الاسلامية وأمراء الملة الحنيفية

وبعض أولئك المفسدين عند ما أمكنته الفرصه ووجد من نفسه ريح القوة أظهرمقاصدهعلىمنبر (الموت) (قلعه فى خراسان) وجهر بآرائه الخبيثه فقال . اذا قامت القيامه حطت التكاليف

عن الأعناق ورفعت الاحكام الشرعيه سواء كانت متعلقه بالاعمال البدنيه الظاهرة أو الملكات النفسيه الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم الحق فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف وخلصت منها الذمم (أى أغلقت أبواب الانسانيه وفتحت أبواب البهيميه)

وبالجمله فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أى (الناتوراليسم) من الاجيال السابقه الاسلاميه عملوا على تغيير الأوضاع الآلهيه بفنون من الحيل ودعوا كل كمال انسانى نقصا وكل فضيلة رذيله وخيلوا للناس صدق مايزعمون ثم تطاولوا على جانب الالوهيه فحلوا عقود الايمان بها بالسفسطه التى سموها تنزيها ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفى محوه محو سعادة الانسان فى حياته وسقوطه فى هاويه اليأس والشقاء

فأفسدوا أخلاق الملة الاسلاميه شرقا وغربا وزعزعوا أركان عقائدها وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئه وتجريدها من السجايا الكامله التى كان عليها أبناء هذه الملة الشريفه حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وأمانتهم بالخيانه ووقع المسخ فى هممهم فبعد

ان كان مرماها مصالح الملة عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيمية . وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج صدعوا أطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها الابرياء وخربوا ما أمكنهم أن يخربوا وثبتوا بها نحو مائتى سنة والمسلمون فى عجز عن مدافعتهم - مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروا الفساد على أخلاقهم فى قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم فى بلادهم خوفا من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيرا من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع ان مجال خيولهم فى بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهى الى أسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلات والاهانات ولا رزئوا بالتخريب فى بلادهم والفناء في أرواحهم الا بعدما كانت بصائرهم ونغلت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت اماناتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف أمة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد ان كانت قناتهم لا تلين لغامز الا ان بقية من تلك

الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم كامنة في طي ضمائرهم فهي التي انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد في كشف السطوة الغربية عن بلادهم فأجلوا الأمم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من أيديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الأسلام وألبسوهم تيجان شرفهم ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو أثر العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم الى النزعة. ولهذا ذهب المؤرخون الى أن بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب والأليق أن يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية ﴿ الدهرية ﴾ في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الاسلامي

وليس بخاف ان فئة ظهرت في الايام الأخيرة ببعض البلاد الشرقية وأراقت دماء غزيرة وفتكت بارواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن أسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من نفايات مأثرك دهريو الموت وطبيعيو كردكوه . وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين فعلينا ان ننتظر ما يكون من آثار بدعها في الامة التي ظهرت بها

﴿الشعب الفرنساوى﴾ شعب كان قد تفرد بين الشعوب الاروبية باحراز النصيب الاوفر من الاصول الستة فرفع منار ا[illegible] وجبر كسر الصناعة فى قطعة أروبا بعد الرومانيين وصاروا بذ[illegible] مشرقاً للتمدن فى سائر الممالك الغربية وبما أحرز الفرنساويون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة فى دول الغرب الي القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و(روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي واحييا ما بلى من عظام الناتورالبسم (الدهريين) ونبذا كل تكليف دينى وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما أن الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما أن الاديان مخترعات أحدثها نقص العقل الانسانى وجهر كلاهما بانكار الالوهية ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء ﴿برأهم الله مما قالا﴾ وكثيراً ما ألف وولتير من الكتب فى تخطئة الانبياء والسخرية بهم والقدح فى انسابهم وعيب ماجاؤا به فأخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم وبعد أن أغلقوا ابوابها فتحوا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة ﴿فى زعمهم﴾ شريعة الطبيعة وزادبهم الهوس فى بعض أيامهم

نعم أن نابليون الاول بذل جهده فى أعادة الديانة المسيحية الى
نفس الشعب استدراكاً لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل
فاستمر الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذى هم عليه اليوم . هذا
الذى جر الفرنساويين للسقوط فى عار الهزيمة بين يدى الجرمانيين
وجلب اليهم من الخسار ما تعسر عليهم تعويضه فى سنين طويلة .
هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون أى الاشتراكيين
ونما هذا المذهب بين الفرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به
ومفاسدهم فى البلاد الفرنساوية أقل من مضار الجرمانيين ﴿ راجع
تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا ﴾ ولولم يتدارك الامر أرباب العقائد
النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على أديم
فرنسا ومحوا مجد الامة تنفيذا لاهوائهم وجلبا لرغائبهم

﴿ الامة العثمانية ﴾ انما رقت حالتها فى الازمنة المتأخرة بما دب
فى نفوس بعض عظمائها وأمرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين
اجترحوا أثم الخيانة فى الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا
يذهبون مذهب النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ وبذلك كانوا يعدون
أنفسهم من أرباب الافكار الجديدة ﴿ أبناء العصر الجديد ﴾
زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين ان الانسان حيوان كالحيوانات

حتى حمل لفيفاً من عامتهم ان يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى زعيم القوم . أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا شيئا من ذلك تهديداً لكم من الله السماء يرسله عليكم ليعظكم به ويزجكم عن مخالفته كلا فهذه كلها آثار الطبيعة ﴿ الناتور ﴾ ولا مؤثر فى الوجود سوى ﴿ الناتور ﴾ فحلوا عن أعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لانفسكم إلها من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فهاهى (مدموازيل) أي العذراء قائمة فى المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم

والاضاليل التى بثها هذان الدهريان ﴿ وولتير وروسو ﴾ هى التى أضرمت نار الثورة الفرنساوية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك أهواء الامة وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت المذاهب وأوغلوا فى سبل الخلاف زمنا يتبعه زمن حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعى كل قبيل فى التماس ما يؤاتى لذته ويوافق شهوته واعرضوا عن منافعهم العامة وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقا وغربا

لا يخلف عنها فى أحكامها وهذه الاخلاق والسجايا التى عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة «الناتور» وانما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر . فعلى من بصر بالحقيقية (على زعم أولئك المارقين) أن يستنتج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه وقوفا عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية الواهية . وحيث ان الفناء حتم على الاحياء فما هو الشرف والحياء وما هى الامانة والصدق وأى شىء هو العفة والاستقامة . ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسفوا بيت الشرف العثمانى فى تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قايل

السوسياليست «الاجتماعيون» النيهيليست «العدميون»

الكمونيست «الاشتراكيون»

هذه الطوائف الثلاثة تتفق فى سلوك هذه الطريقة «الدهرية» وزينوا ظواهرهم بدعوى انهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان لونت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لمقصد الاخرى الا ان غاية ما يطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية

كافة واباحة الكل للكل واشراك الكل فى الكل . وكم سفكوا من دماء وكم هدموا من بناء وكم خرجوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم اجروا من فساد كل ذلك سعيا فى الوصول الى هذه المطالب الخبيثة.

وجميعهم على اتفاق فى ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء فى التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة فى شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها. ومن مزاعيمهم أن الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة « الاباحة والاشتراك » وليس من مانع أشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعى أن ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك وأهل السعة فى الرزق فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والا أخذ باعناقهم قتلا وبأكظامهم خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤسهم كبرا على الشريعة المقدسة « شريعة الطبيعة » ولا تزور أعناقهم عصيانا لاحكامها

نظر أبناء هذه الطوائف الثلاثة فى وجوه الوسائل لبث أفكارهم

والافضاء بما فى أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح فى زرع بزور الفساد فى النفوس من وسيلة التعليم اما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف أو بالدخول فى سلك المعلمين فى مدارس غيرهم ليقرروا أصولهم في أذهان الاطفال وهم فى طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم بالتدريج . فمن أولئك الدهريين من همه بناء المدارس ودعوة الناس اليها ومنهم متفرقون فى بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم ونمت شيعتهم فى أقطار الممالك الاوروبية خصوصاً مملكة الروسية . لا جرم ان هذه الطوائف اذا استفحل أمرها وقوى ساعدها على المجاهرة بأعمالها فقد تكون سببا فى انقراض النوع البشرى كما تقدم ذكره أعاذنا الله من شرور أقوالهم وأعمالهم

﴿ مورمون ﴾

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة) نشأ في انجلترا ثم هاجر منها الى أميركا وأعلن ما ألقى اليه بالهام الطبيعة من ان النعمة العظمى ﴿ يريد الاباحة والاشتراك ﴾ انما يؤتاها من كان مؤمنا بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق

التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عـدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احـداهما من المؤمنين والاخرى من المؤمنات وقال لـكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة حتى كانت اذا سئلت احدى المؤمنات زوجة من أنت . تجيب انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سـئل أحد أبنائهن . ابن من أنت . يجيب انه ابن الجمعيـة الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل (هوة جميتهم)

﴿ دهريو الشرقيين ﴾

اما منـكروا الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا في لباس المهـذبين ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبـة الوطنية وزعموا أنفسهم طلاب خير الأمة فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا في أعين الاغبياء حملة لاعلام العـلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من أوهام المبطلين وفتلوا سبالهم كبرا وعلواً ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء وهم في اطباق جهل وارتقاق غباوة وفي أهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الدنائم فأولئك قوم قوى فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . وانني لفي خجل من ذكرهم يدافعني

الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لا تخرج عن جنوبهم . يسعون فى اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم يحددون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بنى جنسهم لا يبتغون بذلك عوضاً سوى حشو معدهم وما أضيق مجال أفكارهم الى الآن لم يخط أحدهم خطوة خارج كرشه ولم يعد واحد منهم رجله لأ بعد من فرشه وليس فى وسع القلم أن يتحرك فى هذا المجال الضيق غير انه يمكن أن يقال انهم ﴿ ياجوا ﴾ لغيرهم من أهل الضلالة ﴿ أى سيئوا التقليد لهم ﴾ وما بقى من أوصافهم لا يخفى على فهم القارئين

﴿ مضار انكار الالوهية ﴾

تبين مما أسلفناه ان طائفة النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ كلما نجمت فى أمة أفسدت أخلاقها وأوقعت الخلل فى عقولها وتخطفت قلوب آحادها بأنواع من الحيل وألوان من التلبيس حتى تصبح تلك الامة وقد وهى أساسها وتفطر بناؤها واغتالتها رذائل الاخلاق من الأثرة وعبادة الشهوات والجرأة على ارتكاب الخيانات ولا يزال الفساد يتغلغل فى أحشائها حتى تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة ويخلد أبناؤها فى الفقر والعبودية

الا ان قبيلا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مقصديهم الاصلى وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا فى ظاهر الامر بانكار الالوهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول ان فى ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت أن أبين ان هذه النزعة وحدها كافية فى افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ماهو أشد منها تأثيراً فى محو الفضائل واثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن أن يجتمع لشخص واحد وهم الدهرى وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك ان كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تجد الطبيعة طريقاً معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسبيل حق . وسبيل باطل . وسبيل الفتنة والفساد وسبيل الهدى والرشاد . وسبيل سفك الدماء واغتصاب الحقوق وسبيل الاجمال والتعفف . وكلها ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف هوائها عند

معينه ومنعها من تجاوز حد الاعتـدال فى آثارها وأعمالها وارضاء كل ذى شهوة بحقه وكفه عن الاعتـداء والاحجاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد أمور أربعه

﴿ الامور التى يمكن بها الزام النفس حدود العدل ﴾

اما ان يحمل كل ذى حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احـدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعا عن حقه . وأما شرف النفس كما يزعمه أرباب الاهواء وأما الحكومه . وأما الاعتقاد بأن لهـذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفى كل عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ثواباً خزيلا أو عقاباً وبيلا فى حياة بعد هذه الحياة

﴿ الاول المدافعه الشخصيه ﴾

أما الأول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسـيل به الاوديه مهجاً وتخضل به الربى دما وتفانى به النفوس طلبا للحقوق أو دفاعا عنها وتـكون الدائرة للاقوياء على الضعفـاء حتى اذا قوى الضعفاء يوما ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسـحق بعضهم بعضا الى أن يعم جميعهم الفناء

وينقرض النوع الانسانى من وجه البسيطه

﴿ الثانى شرف النفس ﴾

أما الثانى فتقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهى صفة تنكب بصاحبها عن أتيان ما يذم عند قبيلته وغشيان ما يقبح فى انظار عشيرته ويقابلها خسة النفس وهى صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من التقبيح . فتلك الصفة أعنى شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هى فى حدود معروفة عند جميع الامم حتي يمكنهم بالمحافظة عليها أن يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال ألا ترى ان كثيراً من الامور يعد ارتكابه عند بعض الامم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء على انه فى الحقيقة شر الشرور وأعظم الفجور تتبين ذلك من حال سكان البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدية . فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من لواحق الدناءة وعلائم خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبها قوم خسة وخبثا ويحسبها آخرون حكمة وعقلا

واذا أمعنت النظر في المسألة وجدت ان لكل كائن في عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان إنما هي نفسه فهو لا يطلب شرف النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه في توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم ان شرف النفس يرد الى صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره في بهاء الصدق والامانة فيعظم الركون اليه وتكثر أعوانه وفي ذلك توفر أسباب المعيشة واتساع طرقها بخلاف من تلثات نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع لا ينبسط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان ومن كان هذا حاله سدت عليه أبواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة فيكون ميل الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب أثره في كبح الشهوات وردها عند تخوم العدالة انما هو على حسب أحوال الطبقات في معائشهم بمعنى ان كل طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ما ينفعها في معيشتها ويحفظها من طارقة السوء بل لا تري كل طبقة ان شيئاً يعد من الشرف الا تلك الصفة التي تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة . وما زاد على ذلك فلا يعد فقدانه نقصاً ولا الخلو عنه انحطاطا فلا تسعى

لاستحصاله وان عده قوم آخرون من جوهر الشرف؛ ومن مقومات الكمال وان لنا عبرة فى أغلب السلاطين والامراء فانهم مع أخذهم بمذاهب الشرف لا يالون بنقض العهود وخفر الذمم خصوصا مع من دونهم فى السلطان ومن لا يضارعهم فى القوة ولا يأنفون الظلم ولا ينكرون الغدر ولا يتجافون مذمة من تلك المذام ؛ ولا يعدون شيئا منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع ان واحداً من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعد من دنيات الفعال ورمى فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث أن سائر الطبقات لا ينظرون الى ما يصدر عن أمرائهم ورؤسائهم نظرهم الى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذهب التأويل في أعمال الرؤساء والكبراء . وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة أي أن كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادنين على الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام فى العالم الانسانى بشرف النفس لانطلقت أيدى العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت أبواب الشر والفساد فى وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عندما يظنه شرفاً لا يخالفه الي سواء لا خفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة فى تحسين المعيشة والفرار من مضانكها فقلما يستوى ظاهر الانسان وباطنه فى هذه الصفة فهو فى مملنات أموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لا يمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يديه فى قذر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة فى زوايا المحاكم لان طالب خفض العيش يعرف ان هذه الخبائث الخفية تصل به الى مقصده من السعة على أمن من الاشتهار بصفة الدناءة وذلك معروف من أحوال المداعين الظاهرين فى ثياب الشرف والعفة والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيولهم وما يضمرون دون جيوبهم وما يخزنون من الأموال فى زوايا بيوتهم

فاذن لا يليق بذى عقل أن يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ولا مكان للظن بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عن غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ما ظهر منه وما بطن

فان قال قائل ان حب المحمدة مما أشربته قلوب البشر وهو

باعث على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذى فطرة انسانية يسعى لكسب المحمدة لا بد له أن يطلب الغاية من خلة الشرف النفسي وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس ويبتعد بها عن مخالج الحيف والعدوان فنقول فى جوابه أولا اذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضي الشهوات البدنية فقليل من الناس من يختار الاول على الثانى والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة مأسور للذة والنظر فى طبقات الناس وأحوالهم على اختلافهم يثبت لنا ذلك . وثانياً ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس أشباه انسان وأسناخ حيوان - أولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهؤلاء على نثر المحامد ونظم القصائد الا نضارة الثروة فى الممدوحين وروتق الجاه والجلالة فى المحمودين من غير نظر الى مناشي الجاه ولا موارد الثروة فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم وأحيت باللوائم ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر فيطلبون الغنى والثروة والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمه من المدائح على ألسنة أولئك المدلسين وليس بكثير

في الناس طلاب المحمدة الحقة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للحمد بين حدود الحق وأولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ماهم . فلم تبق ريبة فى قصور هذه الخلة أعنى شرف النفس عن الكفاية فى تعديل الاخلاق وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانسانى اللهم الأان تكون مستندة الى عقيدة في دين وتكون حقيقتها محدودة فى ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقداً لروابط الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الاشارة اليه فى صفة الحياء

﴿ الثالث الحكومة ﴾

واما الثالث (الحكومة) فليس يخاف ان قوة الحكومة انما تأتى على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين اما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات فمن أين للحكومة ان تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتي تقوم بدفع ضرره على ان الحاكم وأعوانه قد يكونون بل أكثر ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فاى

وازع يأخذ على ايدي أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوى المكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم . لاجرم قد يكون الحاكم فى خفى أمره رئيس السارقين وفى جلى حاله قائد الناهبين وأعوانه آلات يستعملها فى الجور وادوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من أعراضهم ويغنمون من أموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينقشون قصورهم بمهج الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

﴿ الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية ﴾

فاذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الامر الرابع أعنى الايمان بان للعالم صانعا عالما بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة . وفى الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما أفضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الامن ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة

للاجتماع الانسانى ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفوا صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن خيانة أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر ان العلة الغائية لاعمال الانسان انما هى نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب فى يوم بعد يومه فما الذى يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصا اذا تمكن من أخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته فى الدنيا أو رأى منفعته الحاضرة فى ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأى حامل يحمله على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك من الاخلاق التى لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد فى أحد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد أو كان أبتر ناقصاً لفقد ما عداه من سائر صفات الكمال)

وقد تبين أن أول تعاليم النيشريين «الدهريين» ابطال هذين الاعتقادين «الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية» وهما أساس كل دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك . فهؤلاء القوم هم الساعون

في نسف بناء الانسانية وتذريته في ذيول السافيات يطلبون ضعضعة أركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوّضون بذلك مارفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الأمم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة واعلام الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية العجماء محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة . يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويبيعون ألصق الناس بهم بأدنى مشتهياتهم . عبيد البطون وأسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية اذا أعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة اذا تبعتها رضيخة لاعلم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر أو تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن أباه والبنت لا أمان لها من كليهما . نعم أي حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعي وتروقه رقطة جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم فيصغي لزخرف قولهم ويظن أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح أو من الراغبين في بث المعارف

أو المتقين عن الحقائق أو تخيل ان منهم من يكون غوثاً عند الضيق أوعوناً في الشدة أو مخزناً للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لامحالة يبكي عليه ويضحك منه فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الأديان ووهى اساسه فهو أفضل من طريقة الدهريين وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية وأجمل أثراً فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شان يفيد المجتمع الانسانى وفى كل ترق بشرى الى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولى

ولما كان نظام الاكوان قد بنى على أساس الحكمة ونظام العالم الانسانى جزء من النظام الكونى ألهم الله نفوس البشر ان تفزع الى مقاومة أولئك المفسدين ﴿ الدهريين ﴾ فى أى زمان ظهروا ومدافعة ما يعرض من شرهم ﴿ كما الهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الاغذية السامة ﴾ وانهض حفاظ النظام المدنى الحقيقى وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع فى محو آثارهم واستئصال مايغرسون فى تعاليمهم لاجرم ان مزاج الانسان الكبير ﴿ يعنى عموم النوع ﴾ بما اودع الله فيه من الشعور الفطرى وهو أثر

الحكمة الالهية العامة بمج هؤلاء الخونة ولايحتمل وجودهم فى باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة أو الذنانة من المنخرأو أو النخامة من الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لاغراض سافلة الا انهم لم يثبتوا ولم يتم لهم أمر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقى لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قارا راسخا فى جميع الاجيال وعلى أي الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب أنه يكون سبباً فى السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه فى جواد الكمال الصورى والمعنوى ويصعد بهم الي ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلى والنفسى مايظفرهم بسعادة الدارين والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر مادعت اليه الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر كل من الامرين فى بنية الاجتماع الانسانى والله أعلم



اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد أقيم على أساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين . ذلك ان عروج الامم على معارج الحق الاعلى وتدرج الشعوب فى مدارج العلم الأجلى وصعود الأجيال على مراقى الفضائل واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلهم للسعادة الحقيقية فى الدارين كل ذلك مشروط بامور لا يتم الا بها

﴿ الامور التى تتم بها سعادة الامم ﴾

الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدإ الاوهام فأن عقيدة وهمية لو تندس بها العقل لقامت حجابا كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الامر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك ان يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق وفوق ذلك

ما تجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفزع مما لا يفزع . ترى الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق عليه ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له فى الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة ثم يكون أُلعوبة فى أيدى المحتالين وصيداً فى حبائل الماكرين والدجالين

وأول ركن بنى عليه الدين الاسلامى صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله منفرد بتصريف الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن في انسان أو جماد علويا كان او سفليا بان له فى الكون أثراً ينفع اوضر او اعطاء او منع او اعزاز او إذلال ومن المفروض خلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر اويظهر بلباس البشر أو حيوانه آخر لصلاح او فساد او ان تلك الذات المقدسة نالت فى بعض اطوارها شديد الآلام وأليم الاسقام لمصلحة أحد من الخلق فضلا عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية فى اعماء العقول وطمس نورها

واغلب الاديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما ﴿ فى الهند ﴾ ودين بوذه ﴿ فى الصين ﴾ ودين زرادشت ﴿ فى بقايا الفارسيين ﴾ وكثير من أديان اخر

﴿ الثانى ﴾

الامر الثانى أن تكون نفوس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه انه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الانسانى ماعدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن المطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم أحد من الامة الى أنه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا أخذت نفوس النفس حظها من هذه الصفة أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ماأتى عليه سعيه من عاليات الامور وشرائف المراتب ولو ان قوما أساؤا الظن بأنفسهم واعتقدوا أن نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وأن لا سبيل لهم الى الوقوف فى مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من هممهم على مقدار ماظنوا في أنفسهم وبذلك يتولى النقص أعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم

الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جولتهم فى دائرة ضنكة محيطها دون ماظنوا بأنفسهم

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الأنفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لاغير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لا تجد من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة . فلديك دين «برهما» قسم الناس الى أربعة أقسام أحدها «برهمن» وثانيها «جهترى» وثالثها «ويش» ورابعها «شودر» وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها فاعلى منازل الكمال للبرهمن ويليها منزلة الجهترى والصنف الرابع أخسها وأدناها فى جميع المزايا الانسانية وكان هذا التقسيم سبباً فى انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطاهم عن الرقى فى مدارج المدنية وانحصار أفكارهم دون الوصول الى ما يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع انهم أقدم الأمم وأسبقها نظراً فى الكون وشؤونه . ومن الأديان ما يغلب اليوم على أمم من البشر وفى أصوله تفضيل شعب خاص

على بقية الشعوب كشعب اسرائيل مثلا وكتابه المعروف يخاطب
أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ويذكر غيرهم بالتحقير والاهانة
نعم جاء رؤساء ذلك الدين أو انسلوا من هذا الحكم وأغفل فيما بينهم
حتى كأنه لم يكن من دينهم الا ان ما سلبوه من الكرامة عن غيرهم
انتحلوه لانفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين وخلفه
امتياز الصنفية فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين فى قلوب الآخذين
بدينهم حتى صار من عقائدهم ان صنفاً من الناس على منزلة القرب
الى الله بحيث لا يرد الله له طلبة ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر
الاصناف لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلا ولا يعتدله بإيمان ولا
يغفر له ذنبا بتوبة حتى يتوسط له أهل طبقة الرئاسة فعندهم ان كل
نفس وان بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها لعرض ذنوبها
على أبواب العفو الالهي ولا أن ترفع اليه طلب المغفرة لخطيئاتها بل
لا بد فى قبول ذلك منها ان يكون بواسطة الرئيس الدينى ومن آمن
بالله وصدق به وأخذ باحكامه لا ينظر الله لايمانه حتى ينظر اليه الرئيس
الدينى ويعتده إيمانا واستندوا فى هذه العقائد على نصوص من كتابهم
تفيد ان ما يحلونه فى الارض يكون محلولا فى السماء وما يعقدونه
فى الارض يعقد فى السماء وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا

الدين شقاء طويلا والقت بهم فى جهالة عمياء وذلة خرساء زمنا مديداً حتى ظهر فيهم مجددون نقضوا ذلك العقد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا فى ذلك الدين الاسلامى وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه فى ممالك متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات وحلت من أعناقهم ربق ونهضوا من حضيض ذلة الى ذروة رفعة فنطقوا بعدما صمتوا وعلموا بعد ما جهلوا وحكموا بعد ما حكموا وسادوا بعد ما سيدوا .

﴿ الثالث ﴾

الامر الثالث ان تكون عقائد الامة وهى اول رقم ينقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والادلة الصحيحة وإن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها ان معتقدا لاحت العقيدة فى مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقناً فلا يكون مؤمناً هذا والآخذ فى عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بأن آباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به أن يكون عليها يلتقى مع سابقه فى مضارب الوهم وفجاج الظن وأولئك المتبعون للظن القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عندما تعودت ادراكه فلا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر

بهم ذلك تغشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطلت عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم الشقاء ويتعثر بهم البخت وبئس المآل مآلهم

فان كان لابد من الاستئناس لما نقول بقول أوربى فهذا «كيزو» الفرنساوى صاحب تاريخ «سيفليزاسيون» أى التمدن الاوربى قال ان من أشد الاسباب أثراً فى سوق أوربا الى تمدنها ظهور طائفة فى تلك البلاد قالت ان لنا حقاً فى البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولو كان ديننا هو الدين المسيحى وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ما ادعت من الحق محتجين عليها بأن بناء الدين على التقليد فلما أخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت أفكارها نصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ثم تحركت فى مداركها الفكرية وترددت فى المجالات العلمية وكدحت لاستحصال أسباب المدنية

ان الدين الاسلامي يكاد ان يكون منفرداً من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية والقدح فى سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم الى العقل تنطق نصوصه بان السعادة من نتائج العقل والبصيرة

وان الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع أركان الحجة لاصول من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعى اتبعه ببيان الغاية منه فى الاغلب (راجع القرآن الشريف)

وقلما يوجد من الاديان مايساويه أويقاربه فى هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الاديان الظاهرة مابني أعظم أركانه على أصل الكثرة فى الواحد أو الوحدة فى الكثير وان الواحد يكون اكثر والكثير يكون واحداً مما تنبذه بداهة العقل فلما انكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على انه فوق نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا يهتدى لدليل عليه ولا مرشد اليه يريدون أنه لابد من تنكب طريق العقل ونبذ احكامه حتى يمكن الايمان بهذا الاصل مع ان العقل مشرق الايمان فمن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقا بين مالا يصل العقل الى كنهه لكنه يعرفه بأثره وبين ما يحكم العقل باستحالته فالاول معروف عند العقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات عزته أما الثانى فطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه أما أصول دين برهما فمن

البين لكل ناظر فيها أن أغلبها مخالف لصريح العقل وذلك من جليات المسائل سواء اعترف أهل هذا الدين بثبوته أو كابروا بانكاره

﴿ الامر الرابع ﴾

الرابع ان يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة لا ينؤون فى تنوير عقولهم بالمعارف الحقة وتحليتها بالعلوم الصافية ولا يألون جهدا فى تبين طرق السعادة لهم والسلوك بهم فى جوادها ثم طائفة أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها وتكشف عن الاوصاف الفاضلة وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب المتدنسين بها وتشتد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تلهيها عنهما غفلة ولا تردها عنهما صعوبة

وذلك ان بداهة العقل حاكمة بأن جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن فى الناس معلم قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الاولى والاستعداد لما يكون فى الاخرى وساوى الانسان فى معيشته سائر الحيوانات وحرم سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على اتعس الاحوال فاذن من الواجب الدينى اقامة معلم . والشهوات

النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الانفس غاية تنقطع عندها فان فقد من بين الناس مقوم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع الى الجيف والاجداف ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا ستر أمتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة أعمالهم بل يحترقون بنيران شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء ويفارقونها الى شقاء فاذن لا بد من الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر القائم بتقويم لاخلاق . وان من أهم الاركان الدينية فى الديانة الاسلامية هاتين الفريضتين ﴿ نصب المعلم ليؤدى عمل التعليم واقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر ﴾ راجع القرآن الشريف ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وغير هذه الآية آيات كثيرة فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وسواها آيات وقد برز دين الاسلام على غالب الاديان فى العناية بهذين الامرين

وحيث كانت اركان الدين الاسلامى بالغة حد الكثرة فلو أخذت فى بيان ما يفيده كل ركن منها فى تقويم المدنية وتشييد بناء النظام الانسانى واقامة الدليل على ان كل أصل من أصول هذا الدين عنصر

لحياة السعادة الانسانية لخرجت عن القصد من هذه الرسالة

ولهذا أخذت نفسي ان أضع رسالة تختص بذلك الغرض أبين فيها ان المدنية الفاضلة التى مات الحكماء على حسرة من فقدها لا تختلط فى العالم الانسانى الا بالدين الاسلامى .

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ما نرى من الحال السيئة والشأن الحزن فجوابه ان المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الآن من القول بهذا النص الشريف ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾

هذا آخر ما أردت بيانه فى هذه الرسالة ينتهى به ما اجملته فى كشف سوآت النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ ومضار طريقتهم فى المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية وتوضيح لادلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشرى خصوصاً دين الاسلام والى الله المنتهى ورضاه للمبتغى والصلاة والسلام على خاتم رسله وآله وصحبه وسلم .

تم بعون الله وحسن توفيقه



مضت سنة الله في خلقه بان للعقائد القلبية سلطاناً على الاعمال البدنية فما يكون في الاعمال من صلاح أو فساد فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على ما بينا فى بعض النبذ الماضية ورب عقيدة واحدة تأخذ باطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات اخري ثم تظهر على البدن باعمال تلائم أثرها في النفس ورب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذاعرضت على الانفس فى تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبيلها أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة أو الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه وفى كلا الحالين يتغيروجهها ويختلف أثرها وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ فى الفهم او على خبث الاستعداد فتنشأ عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ولا كيف يعرفه اعتقاده والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الأديان غالباً بل هو علة البدع في كل دين على الاغلب وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال

حتي افضي بمن ابتلاهم الله به الي الهلاك وبئس المصير وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن فى دين من الاديان أو عقيدة من العقائد الحقة استناداً الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين أو العقيدة

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعد من أصول العقائد في الديانة الاسلامية الحقة . كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا أنها ماتمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطوارا ثم حصروا علتها في الاعتقاد بالقدر فقالوا ان المسلمين فى فقر وفاقة وتأخر في القوى الحربية والسياسية عن سائر الامم وقد فشى فيهم فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم فى فضيلة ولكن متى امكن لاحدهم ان يضر اخاه لا يقصر الحاق الضرر به فجعلوا بأسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرى رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون في كسور بيوتهم يسرحون فى مرعاهم ثم يعودون الى مارآهم الامراء فيهم يقطعون أزمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق في أدائها اعمارهم ولا يؤدون منها شيئاً. يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم أسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ولكن لايدخل في حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة يتخاذلون ويتنافرون ويبطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية فرب تنافر بين أميرين يضيع أمة كاملة كل منهما يخذل صاحبه ويستعدي عليه جاره فيجد الاجنبي

فيهما قوة فانية وضعفاً قاتلا فينال من بلادهما مالا يكلفه عددا ولا عدة . شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور يفزعون من الهمس ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الى ما يلحقون به الامم في العزة والشوكة وخالفوا في ذلك أوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون واذا أصاب قوماً من أخوانهم مصيبة او عدت عليهم عادية لا يسعون في تخفيف مصابهم ولا ينبعثون لمناصرتهم ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لا جهرية ولا سرية يكون من مقاصدها احياء النيرة وتنبيه الحمية ومساعدة الضعفاء وحفظ الحق من بغي الاقوياء وتسلط الغرباء . هكذا أنسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الاطوار وزعموا ان لا منشأ له الا اعتقادهم بالقضاء والقدر وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية وحكموا بان المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ولن ينالوا عزاً ولن يعيدوا مجداً ولا يأخذون بحق ولا يدفعون تعديا ولا ينهضون بتقوية سلطان او تأييد ملك ولا يزال بهم الضعف يفعل في نفوسهم ويركس من طباعهم حتى يؤدي بهم الى الفناء والزوال (والعياذ بالله) يفني بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة ومايسلم من أيدي بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد أولئك الافرنج أنه لا فرق بين الاعتناء بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور محض في جميع أفعاله وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ومتى رسخ في نفوس قوم أنه لا اختيار لهم في قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما جميع ذلك بقوة جابرة وقدرة قاسرة فلا ريب تتعطل قواهم ويفقدوا ثمرة ما وهبهم الله من المدارك وتمحي من خواطرهم داعية السعي والكسب واجدر

بهم بعد ذلك ان يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم . هكذا ظنت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول فى المشرق ولست أخشى إن أقول كذب الظان وأخطأ الواهم وابطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سني وشيعي وزيدى واسماعيلى ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بان لهم جزاء اختيارياً فى اعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية والنواهي الربانية الداعية الى كل خير الهادية الى كل فلاح وان هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمي بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر فى جميع افعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين ان يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم أثر . وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ماظنه أولئك الواهمون

الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة وسهل على من له فكر ان يلتفت الى أن كل حادث له سبب يقارنه فى الزمان وأنه لا يرى من سلسلة الاسباب الا ماهو حاضر لديه ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها وان

لكل منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم . وارادة الانسان أعله هى حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الارادة الا أثراً من آثار الادراك والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما اودع فى الفطرة من الحاجات فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة مالا ينكره أبله فضلا عن عاقل وان مبدء هذه الاسباب التى ترى في مظاهر مؤثرة اعاهو بيد مدبر الكون الاعظم الذى ابدع الاشياء على وفق حكمته وجعل كل حادثة تابعاً لشبهه كأنه جزاء له خصوصاً فى العالم الانسانى

ولو فرضنا ان جاهلا ضل عن الاعتراف بوجود الله صانع للعالم فليس فى امكانه ان يتملص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية فهل يستطيع انسان ان يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنها الله فى خلقه . هذا أمر يعترف به طلاب الحقائق فضلا عن الواصلين وان بعضاً من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجأوا الى الخضوع لسلطة القضاء وأطالوا البيان في اثباتها ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بارائهم

ان للتاريخ علما فوق الرواية عنى بالبحث فيه العلماء من كل أمة وهو العلم الباحث عن سير الامم فى صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها وما ينشأ عنها من التغير والتبديل فى العادات والاخلاق والافكار بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان وما يتبع ذلك كله من نشأة الامم وتكون الدول أو فناء بعضها واندراس أثره . هذا الفن الذي عدوه من أجل الفنون الادبية وأجزلها فائدة بناء البحث فيه على الاعتقاد بالقضاء والقدر والاذعان بأن قوى البشر في قبضة مدبر الكائنات ومصرف للحادثات ولو استقلت قدرة البشر

بالتأثير وما انحط رفيع ولا ضعف قوى ولا انهدم مجد ولا تقوض سلطان

الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور . هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الارواح والتخلى عن نضرة الحياة كل هذا فى سبيل الحق قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة . الذى يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمة أمته أو ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الاوامر الالهية وأصول الاجتماعات البشرية

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحق الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . واندفع المسلمون فى أوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها فأدهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار الصين مع قلة عددهم وعددهم وعدم اعتيادهم على الاهوية المختلفة وطبائع الاقطار المتنوعة أرغموا الملوك وأذلوا القياصرة والاكاسرة في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة . ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات

دمروا بلاداً ودكدكوا أطواداً ورفعوا فوق الارض أرضاً ثامنة من القسطل وطبقة أخري من النقع وسحقوا روس الجبال تحت حوافر جيادهم وأقاموا بدلها جبالا وتلالا من روس النابذين لسلطانهم وأرجفوا كل قلب وأرعدوا كل فريصة وما كان قائدهم وسائقهم الى جميع هـذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر

هذا الاعتقاد هو الذي ثبتت به أقدام بعض الاعداد القليلة منهم امام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها بسيط الغبراء فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على أعقابهم

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها على الحياري في هبوات الحروب من أهل المغرب وهو الذي حملهم على بذل أموالهم وجميع مايملكون من رزق فى سبيل اعلاء كلمتهم لا يخشون فقراً ولا يخافون فاقة. هذا الاعتقاد هو الذي سهل عليهم حمـل أولادهم ونسائهم ومن يكون فى حجورهم الي ساحات القتال في أقصي بلاد العالم كانما يسيرون الى الحدائق والرياض وكأنهم أخذوا لأنفسهم بالتوكل على الله اماناً من كل غادرة وأحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة وكان نساؤهم وأولادهم يتولون سقاية جيوشهم وخدمتها فيما تحتاج اليه لا يفترق النساء والاولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح ولا تأخذ النساء رهبة ولا تغشي الاولاد مهابة. هذا الاعتقاد هو الذي ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب ويبدد افلاذ الاكباد حتي كانوا ينصرون بالرعب يقذف به في قلوب أعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل أن يشيموا بروق سيوفهم ولمعان أسنتهم بل قبل أن تصل الى تخومهم أطراف جحافلهم

(بكاى على السالفين ونحبي على السابقين أين أنتم ياعصبة الرحمن وأولياء الشفقة أين أنتم يا أعلام المروءة وشوامخ القوة أين أنتم يا آل النجدة وغوث المضيم يوم الشدة أين أنتم يا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أين أنتم أيها الامجاد الانجاد القوامون بالقسط الآخذون بالعدل الناطقون بالحكمة المؤسسون لبناء الامة ألا تنظرون من خلال قبوركم الى ما أتاه خلفكم من بعدكم وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتكم انحرفوا عن سنتكم وجاروا عن طريقكم فضلوا عن سبيلكم وتفرقوا فرقاً وأشياعاً حتى أصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب أسفا وتحترق الاكباد حزناً . أضحوا فريسة للامم الاجنبية لا يستطيعون ذوداً عن حوضهم ولا دفاعا عن حوزتهم ألا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبه الغافل ويوقظ النائم ويهدى الضال الى سواء السبيل . انا لله وانا اليه راجعون)

أقول وربما لا أخشى واهماً ينازعني فيما أقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشري الى اليوم ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير نبت في أوسط الطبقات ثم رقي بهمته الى أعلى الدرجات فذللت له الصعاب وخضعت الرقاب وبلغ من نسطة الملك ما يدعوا الى العجب ويبعث الفكر لطلب السبب الا كان معتقداً بالقضاء والقدر . سبحان الله الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة فما الذى يهون عليه اقتحام المخاطر وخوض المهالك ومصارعة المنايا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر وركون قلبه الى ان المقدر كائن ولا أثر لهول المظاهر

اثبتت لنا التواريخ ان كورش الفارسى (كيخسرو) وهو اول فاتح يعرف

في تاريخ الاقدمين ما تسنى له الظفر في فتوحاته الواسعة الا لانه كان معتقداً بالقضاء والقدر فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ولا توهن عزيمته شدة وان اسكندر الاكبر اليوناني كان ممن رسخ في نفوسهم هذه العقيدة الجليلة وجنكيز خان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من ارباب هذا الاعتقاد بل كان نابليون الاول بونابرت الفرنساوي من اشد الناس تمسكا بعقيدة القضاء وهي التي كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة فيتهيأ له الظفر وينال بغيته من النصر

فنعم الاعتقاد الذي يطهر النفوس الانسانية من رزيلة الجبن وهو اول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله في طبقته ايا كانت نعم انا لا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر وربما كان هذا سبباً في رزيتهم ببعض المصائب التي اخذتهم بها الحوادث في الاعصر الاخيرة ورجاؤنا في الراسخين من علماء العصر ان يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ويذكرون العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون وينشروا بينهم ما اثبته ائمتنا رضي الله عنهم كالشيخ الغزالي وامثاله من ان التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا في العمل لا في البطالة والكسل وما امرنا الله ان نهمل فروضنا ونبذ ما أوجب علينا بحجة التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين الحائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب احد من اهل الدين الاسلامي في ان الدفاع عن الملة في هذه الاوقات صار من الفروض العينية على كل مؤمن مكلف وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقة التي تجمع كلمتهم وترد اليهم عزيمتهم وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الاول الا دعوة خير من علمائهم وان جميع ذلك

موكول الى ذمتهم

اما مازعموه فى المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأه هذه العقيدة « ولاغيرها من العقائد الاسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل اشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . ثم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيز خان واحفاده وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية باسرها على ديارهم وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأى وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ووسد الامر فيهم الى غير اهله وولى على امورهم من لايحسن سياستها فكان حكامهم وامراؤهم من جراثيم الفساد في اخلاقهم وطباعهم وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم وقصرت انظار كثير منهم على ملاحظة الجزئيات التى لا تتجاوز لذته الآنية واخذ كل منهم بناصية الاخر يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب لا لعلة صحيحة ولا داع قوى وجعلوا هذا ثمرة الحياة فآل الامر بهم الى الضعف والقنوط وأدي الى ما صاروا اليه

ولكني اقول وحق ما اقول ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم ورسومها تلوح في اذهانهم وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم وكل ماعرض عليهم من الامراض النفسية والاعتدال العقلى فلا بد ان تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الامر كما بدا وينشطوا من عقالهم ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر فى انقاذ بلادهم وارهاب الامم الطامعة

فيهم وايقافها عند حدها

وما ذلك ببعيد والحوادث التاريخية تؤيده فانظر الى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش الى ارجاء العالم واتسعت لهم ميادين الفتوحات ودوخوا البلاد وارغموا انوف الملوك ودانت لسلطانهم الدول الافرنجية حتى كان السلطان العثماني يلقب به الدول بالسلطان الاكبر

ثم ارجع البصر تجد هزة فى نفوسهم وحركة فى طباعهم احدثها فيهم ماتوعدتهم به الحوادث الاخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب . حركة سرت في افكار ذوى البصيرة منهم في اغلب الانحاء شرقا وغربا وتألفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع والسعى بغاية الجهد لبث افكارها وجمع الكلمة المفترقة وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من اصغر اعمالهم نشر جريدة عربية لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم وانا نري عدد الجمعية الصالحة يزداد يوما بعد يوم نسأل الله تعالى نجاح أعمالها وتأييد مقصدها الحق ورجاؤنا من كرمه ان يترتب على حسن سعيها أثر مفيد للشرقيين عموما وللمسلمين خصوصاً

﴿ انتهي ﴾

فهرست الكتاب

صحيفة

٢ ترجمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني

٨ ترجمة المرحوم الشيخ محمد عبده

١٢ فاتحة الكتاب للمرحوم الشيخ محمد عبده

١٥ حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين وبيان حالهم

٣٠ مظاهر الماديين ومقاصدهم

٣١ ما أفاد الدين من العقائد والخصال

٣٧ الخصال الثلاثة

٤٤ تفصيل غايات النيشريين

٤٩ مسالك النيشريين في طلب غاياتهم

٥٠ ضرر مذاهب النيشريين حتي بعقول من لا يأخذ بها

٥٢ بما أفسد فيهم النيشريون (الدهريون)

صحيفة

٦٩ السوساليست (الاجتماعيون)

النهليست (العدميون)

الكمونيست (الاشتراكيون)

٧١ مورمون

٧٢ دهريو الشرقيين

٧٣ مضار انكار الالوهية

٧٥ الاول المدافعة الشخصية

٧٦ الثاني شرف النفس

٨١ الثالث الحكومة

٨٢ الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية

٨٧ دين الاسلام

الامور التى تتم بها سعادة الامم

٨٩ الثاني

٩٢ الثالث

٩٥ الامر الرابع

٩٨ القضاء والقدر

﴿ تمت الفهرست ﴾

يباع هذا الكتاب فى المحلات الآتية

مصر

محمود افندي توفيق كتبي بالازهر بمصر
مصطفى محمد الكتبي بخان الخليلى بمصر
الشيخ منصور عبد المتعال كتبي بمصر
على حسن الفيشاوي الكتبي
مكتبة المنار بشارع عبد العزيز
« التأليف « »
« الهلال بشارع الفجالة
« المعارف بشارع محمد على
« البيان بحلواية باب الخلق
محمود صبيح كتبي بشارع الازهر
محمد مصطفي فهمى الكتبي بالازهر
الحاج محمد الساسى
الحاج محمد سعيد الكتبي
عبدالله محمد يومي الاسنوي الكتبي بمصر ومكه

اسكندرية

على افندي محمود الحطاب الكتبي
عبد القادر افندي حمدى الكتبي

طنطا

محمد على الليجى الكتبي

تابع محلات مبيع هذا الكتاب

المنصوره

الشيخ سعيد حلقه الكتبي
ابراهيم حسن الحواتكى الكتبي
محمد شفيق الكتبي

الزقازيق

الشيخ دياب عوض الكتبي

بني سويف

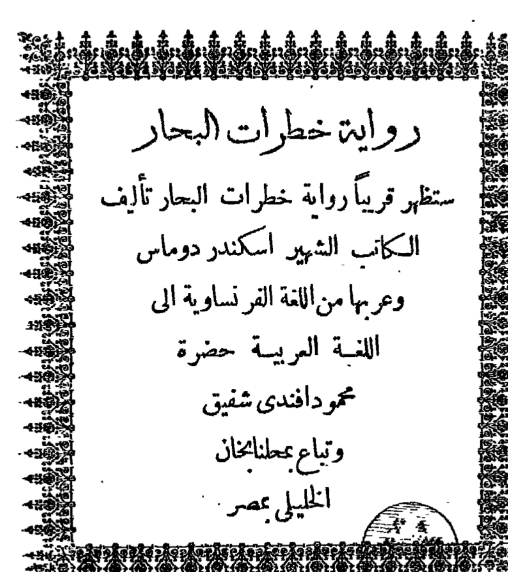
آدم افندي الكومى الكتبي

المنيا

محمد احمد عبد الرحيم الكتبي
محمد عبد الحميد الاسنوى الكتبي

جرجا

الشيخ محمد عبدالله القباني الكتبي



رواية خطرات البحار

ستظهر قريباً رواية خطرات البحار تأليف
الكاتب الشهير اسكندر دوماس
وعربها من اللغة الفرنساوية الى
اللغة العربية حضرة
محمود افندى شفيق
وتباع بمحلنا بخان
الخليلى بمصر



